معركة شقحب
أو
معركة مرج الصفر

بقلم

د. محمد بن لطفي الصباغ

المكتب الإسلامي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

معركة شقحب
أو
معركة مرج الصفر

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

معركة شقحب
أو
معركة مرج الصفر

بقلم
د. محمد بن لطفي الصباغ

المكتب الإسلامي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

المكتب الإسلامي
بيروت: ص.ب ٣٧٧١/١١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقيًا: إسلاميًا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على أبيه إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على أبيه إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين أنك حميد مجيد. أما بعد

فهذه رسالة كتبتها في معركة شقحب تلك المعركة الفاصلة التي أعز الله فيها أهل السنة من المسلمين وأعلى كلمة الحق والدين ولا يعرفها إلا القليل من مثقفي المسلمين فضلاً عن عامتهم ويستطيع الدارس لها أن يقرر بغير قليل من الجزم أنها معركة شيخ الإسلام ابن تيمية إذ أبلى فيها البلاء الحسن وحرّض المؤمنين على القتال وكان وجوده عاملاً من عوامل النصر في هذه المعركة.

وكنت قد نشرت هذه الكلمة عن معركة شقحب في العدد العاشر من مجلة البحوث الإسلامية لسنة ١٤٠٤ هـ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأنشرها اليوم مستقلة في هذه الرسالة والمسلمون في واقع مؤلم وفي أزمات متتالية خانقة وهم يتطلعون إلى طريق الخلاص الذي ينقذهم مما هم فيه فدولة اليهود التي قامت في ربوعهم المقدسة تصول وتجول وتهدد وتعربد وتقتل وتنكل ولا تجد من يردها ومن يوقفها عند حدها، بل إن دول الكفر الكبرى تضع ثقلها إلى جانب هذه الدولة والمسلمون مقهرون مسعقون بأيدي أعدائهم وعملاء هؤلاء الأعداء من بني جلدتهم وإنا لله وإنا إليه راجعون. يقتل الألوف والألوف ولا يرثي قتلاهم أحد فإذا أعدم عدد من الناس في الصين أو غيرها ثارت ثائرة القوم وارتفعت شعارات حقوق الإنسان كأن المسلمين ليسوا من بني الإنسان وإنا لله وإنا إليه راجعون. وأتمنى أن تصدر قصص هذه الغزوات البطولية في كتيبات وأن يعاد طبع ما صدر منها من نحو معركة حطين وعين جالوت والقادسية واليرموك وغيرها.

أسأل الله العلي الكبير أن يرد المسلمين إلى دينهم رداً جميلاً وأن يوفقهم ليعوا تاريخهم وليذكروا بطولاتهم لعل ذلك يؤثر في حياتهم ويعينهم على إرادة التغيير والله على كل شيء قدير.

وصلّى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

٦ ذي الحجة سنة ١٤٠٩ هـ
٨ تموز سنة ١٩٨٩ م

محمد بن لطفي الصباغ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

معركة شقحب
أو
معركة مرج الصفر

لا تزال حادثة سقوط بغداد سنة ست وخمسين وستمائة غُصَّة في صدر كل مسلم، وشجىً في حلق كلّ مؤمن.. إنَّ ذكرها ليحدث رعشة في القلب، وإن جراحاتها ما تزال تنزف دماً في أعماق أعماقنا.

ولا يستطيع دارس أحداث هذه العصور أن ينسى الآلام والمآسي التي تجرّعها المسلمون في تلك الحقبة، فيكاد يذوب قلب المسلم أسفاً وأسىً وكمداً ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ويحسن أن أورد هنا ما قاله ابن الأثير عن خروج التتار، فلقد تحدّث حديثاً مؤثراً عن خروجهم في سنة سبع عشرة وستمائة ولم تكن بغداد قد سقطت فقال ما سأورده فيما يأتي فكيف يكون كلامه لو وقف على الفظائع التي قام بها هؤلاء الوحوش في بغداد سنة ٦٥٦ هـ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال ابن الأثير: [ثم دخلت سنة سبع عشرة وستمائة. . . . . .

لقد بقيتُ عدّة سنين مُعرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها، كارهاً لذكرها، فأنا أقدّم إليه رِجلاً وأؤخّر أخرى، فمَن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين، ومَن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمّي لم تلدني، ويا ليتني متّ قبل حدوثها وكنتُ نَسياً مَنسيّاً، إلا أنّي حثّني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقّف، ثمّ رأيتُ أنّ ترك ذلك لا يجدي نفعاً، فنقول: هذا الفعل يتضمّن ذكر الحادثة العظمى، والمصيبة الكبرى التي عَقَمت الأيّامُ والليالي عن مثلها، عمّت الخلائق، وخصّت المسلمين، فلو قال قائل: إنّ العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم، وإلى الآن، لم يُبْتَلَوْا بمثلها؛ لكان صادقاً، فإنّ التواريخ لم تتضمّن ما يقاربها ولا ما يُدانيها.

ومن أعظم ما يذكرون من الحوادث ما فعله بخْت نَصّر ببني إسرائيل من القتل، وتخريب البيت المقدس، وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرّب هؤلاء الملاعين من البلاد، التي كلّ مدينة منها أضعاف البيت المقدس، وما بنو إسرائيل بالنسبة إلى مَن قتلوا؟ فإنّ أهل مدينة واحدة ممّن قتلوا أكثر من بني إسرائيل، ولعلّ الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم، وتفنى الدنيا، إلّا يأجوج ومأجوج.

وأمّا الدجّال فإنّه يُبقي على من اتبّعه، ويُهلك من خالفه،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهؤلاء لم يُبقوا على أحد، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال، وشقّوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنّة، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم](١).

قال ابن كثير:

(وقد اختلف الناس في كمية من قُتل ببغداد من المسلمين في هذه الوقعة ـ يعني سقوط بغداد ـ فقيل: ٨٠٠ ألف، وقيل: ألف ألف و ٨٠٠ ألف، وقيل: بلغت القتلى ألفي ألف نفس)(٢).

وقال أيضاً:

(وقتل الخطباء والأئمة وحملة القرآن، وتعطلت المساجد والجماعات والجُمعات مدة شهور ببغداد)(٣).

ولكن الشخصية المسلمة كانت ما تزال متماسكة، وأركان المجتمع كانت على الأغلب قائمة على معان أصيلة من الإسلام.. ولذلك فسرعان ما كان الثأر واسترداد الكرامة في معركة عين جالوت التي كانت سنة ٦٥٨ هـ. ولم يمض وقت طويل حتى دان الغزاة بدين أهل البلاد المغلوبين دين الإسلام وإنْ لم يتخلوا عن همجيتهم وعدوانهم وشرّتهم.

ثم كانت معركة انتصر فيها المسلمون انتصاراً عظيماً، وربما

(١) الكامل ١٢/٣٥٨ طبع بيروت.
(٢) «البداية والنهاية» ١٣/٢٠٢.
(٣) «البداية والنهاية» ١٣/٢٠٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كانت أقل شهرة من المعارك التي سبقتها، وهي معركة شقحب موضوع بحثنا هذا.

في اليوم الثاني من رمضان سنة اثنتين وسبعمائة للهجرة (الموافق للعشرين من نيسان (ابريل) سنة ١٣٠٣ م) وقعت هذه المعركة بين المسلمين والمغول... بين عسكر السلطان الناصر وعسكر قطلوشاه.

وقد عُرفت هذه المعركة باسمين هما: (موقعة مرج الصفّر) و(معركة شقحب)[١].

وكان عدد الجيش المغولي الذي اشترك في هذه الموقعة كبيراً، يقدره بعضهم بخمسين ألف مقاتل، وهناك من يقول: إنّ عدده يصل إلى مائة ألف.

والفرق بين الرقمين يدل على أن التقدير غير دقيق، لكن الشيء الواضح من ذلك ضخامة عدد ذلك الجيش. وقد كان في عداد هذا الجيش فرقتان من الكرج[٢] والأرمن[٣].

أما جيش المسلمين فلم يذكر المؤرخون له عدداً، وإن كان يرجّح كثير من الباحثين أنه كان كبيراً أيضاً اعتماداً على قرائن عدّة.

(١) شقحب: عين ماء جنوب دمشق بعد قرية الكسوة على يمين الذاهب إلى حوران (انظر الخريطة).

(٢) الكرج شعب جبلي يعيش في منطقة تقع شمال منطقة الأرمن، وقاعدة بلادهم تفليس يتوزع في السفوح الجنوبية لجبال القوقاز.

(٣) الأرمن شعب نصراني يعيش في منطقة جبلية وعرة بين تركيا وإيران اليوم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولا بُدَّ من دراسة معركة شقحب على أنها حلقة من سلسلة الهجمات المغولية على ديار الإسلام.

لقد كان السبب الذي حرَّك المغول في معاركهم واحتلالاتهم واحداً سواء كان فيما سبق سقوط بغداد أو كان بعدها.

فمن المعلوم أنَّ بلاد المسلمين قد تعرضت إلى أخطار من جهة أوربا النصرانية التي جيَّشت الجيوش، وسيَّرت الحملات الصليبية تلو الحملات، وجاءت هذه القوى الباغية المعتدية إلى ديار المسلمين، فعاثت في الأرض فساداً وأهلكت الحرث والنسل، وانتهى بها الأمر إلى أن تقيم في قلب العالم الإسلامي دولاً منها إمارات الرها، وأنطاكية، وبيت المقدس، وطرابلس.

واستمر وجود الصليبيين في بلاد المسلمين قرابة قرنين، وقد أدرك المسلمون خطورة بقاء هذه الإمارات الصليبية في بلادهم، واستيقظ وعيهم، فقامت حركة الجهاد، يذكيها علماء الأمة ومصلحوها، وتجاوب الناس معها فكان توحيد الجبهة الإسلامية غرضاً مهماً، وكان لنور الدين الشهيد محمود زنكي فضل كبير في تحقيق ذلك، وجاء من بعده صلاح الدين الأيوبي فاستطاع أن يقطف ثمرة جهاد الرجل العظيم نور الدين، وانتصر في معركة حطين، واستطاع أن يطهر معظم بلاد الشام من رجس الصليبيين.

واستردّ المسلمون بيت المقدس وكل ما كان بأيدي النصارى من قلاع وحصون، ولم يبق للصليبيين إلا جيوب يسيرة في أنطاكية وطرابلس والساحل بين صور ويافا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في هـذا الوقت بـالذات ظهـرت حركـة المغـول في أقصى الشرق بزعامة جنكيز خان.

ولقد ثبت بأدلـة قاطعـة أنَّ حركـة المغول هـذه كانت بتحـريض وتخطيط من الصليبيين المهزومين من ديار المسلمين، فقـد كانت هنـاك اتصـالات بين الفـريقين قبـل سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م)، فقـد أوفـد البـابا أنـوسنت الرابـع رجلاً في مهمـة سيـاسيـة إلى منغـوليـا سنـة ٦٤٢ هـ (١٢٤٥ م).

ثم أوفد لويس التاسع المعـروف بـ (الناسـك) بعد ذلـك بثلاث سنوات رجلاً آخر[1].

وقد كتب الدكتور مصطفى طّه بدر كتاباً عنـوانه: «مغـول إيران بين المسيحية والإسلام» وقد قـرر في هذا الكتـاب تعاون النصرانيـة البابوية مع المغول في اجتياح بلاد المسلمين لمصالح النصرانية، ومن أجـل انتزاع الأراضي المقـدسة عنـدهم من أيـدي المسلمـين وأثبت ذلك بأدلة قوية.

إنّ الوجود النصراني في بـلاد الشام تضعضـع بسبب اليقظة التي بدأت تظهر، وبسبب وجود بعض العمالقة من رجالاتهم السياسيـين من أمثال نور الـدين الشهيد وصـلاح الدين الأيـوبي، وبسبب قيام عدد من رجال الفكر والعلم والتوجيه بواجبهم.

(١) انظر كتاب «المجتمـع الإسلامي» للدكتـور أحمد شلبي ط ٣ صفحـة ٢٨٠ وما يليها. وانظر أيضاً كتاب «الكشوف الجغرافية» للدكتور يسري الجوهري صفحة ١١٤ وما بعدها.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وانهار هذا الوجود النصراني بعد معركة حطين وغيرها، عند ذاك فكر النصارى بأسلوب أكثر قوة وأشدّ عوداً وأشنع وحشية وبربرية فلم يجدوا إلا التتار؛ يقول الدكتور مصطفى طه بدر: (ومع أن المغول هددوا المسيحية في أوربا كما هددوا الإسلام في الشرق، واجتاحوا أراضيها في روسيا وبولندا ووصلوا حتى هنغاريا، وقتلوا، ونهبوا، وسبوا، وأنزلوا الرعب في قلوب المسيحيين هناك، إلّا أن المسيحية ما لبثت غير قليل حتى صحت من غفوتها، وزالت عنها الدهشة التي تملكتها، وفارقها الخوف والفزع، وفكرت في الاستفادة من المغول، خصوصاً بعد أن رأت أن تيارهم قد وقف، ولم يستقرّ لهم حال إلّا في روسيا.

وقد اتجهت المسيحية نحو المغول راغبة في استمالتهم، وعقد أواصر الصداقة معهم لكسبهم إلى المسيحيةأولاً، وللاستعانة بهم ضدّ أعدائها المسلمين ثانياً.

والتاريخ يذكر لنا الشيء الكثير عن العلاقات التي قامت بين حكّام المغول الأول من أبناء جنكيز خان وبين الدول المسيحية على اختلافها. تلك العلاقات التي كان من أثرها رحلات يوحنا الكربيني ووليم الروبريكي)[1].

وقال أيضاً:

(أما العلاقات بين البابوات والتتر فكانت مستمرة ولم تنقطع

---

(١) «مغول إيران» صفحة ٥ ـ ٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

طول مدة حكم التتر في إيران.

وقد كان الرسل يترددون من وقت إلى آخر بين بلاط البابوات وبلاط التتار، ويحملون الرسائل التي تفيض بمظاهر الحب، والعطف المتبادل.

ويقال: إن البابا اسكندر الرابع أرسل إلى هولاكو خان مؤسس دولة الايلخانات كتاباً مؤرّخاً في سنة ١٢٦٠ م (٦٥٨ هـ))[1].

وقد ذكرنا في صدر هذا المقال أن الاتصالات بدأت مبكرة قبل هذا التاريخ، إذ أرسل البابا أنوسنت الرابع رجلاً إلى زعماء المغول في سنة ٦٤٢ هـ (١٢٤٥ م).

وقال الدكتور مصطفى طه بدر:

(ولا يختلف المؤرخون في أقوالهم عندما يتناولون مسألة عطف الايلخانات على المسيحيين من رعاياهم ويؤيد بعضهم بعضاً.

ويتضح من أقوالهم أن هولاكو كانت له زوجة مسيحية وأنه بسببها عامل المسيحيين من رعاياه معاملة حسنة ولما فتح [2] بغداد أعفى أهلها المسيحيين من القتل... ولما فتح[2] المغول في عهده دمشق ودخلوها تساهلوا مع المسيحيين من أهلها، حتى أصبحوا نتيجة لهذا التساهل يشربون الخمر علناً في رمضان، ويرشونها على

(١) «مغول إيران» صفحة ٧.

(٢) هذه الكلمة لا تستعمل بشأن الأعداء، فكان ينبغي أن يقول: دخل بغداد... دمشق.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المسلمين، كما صاروا يمرّون في الطرقات وهم يحملون الصليب، ويجبرون المسلمين على القيام احتراماً وإجلالاً لهم)[1].

وقد أورد ابن العماد في «شذرات الذهب» قصيدة مؤثرة لتقي الدين بن أبي اليسر في رثاء بغداد يوم سقوطها في يد التتار وفيها يقول:

علا الصليبُ على أعلى منابرها
وقام بالأمر من يحويه زنار

وقبل هذا البيت يقول تقيّ الدين:

لسائل الدمع عن بغداد أخبارُ
فما وقوفك والأحباب قد ساروا

يا زائرين إلى الزوراء لا تفدوا
فما بذاك الحمى والندار ديّار

تاج الخلافة والربع الذي شرفت
به المعالم قد عفاه إقفار

أضحى لعطف البلى في ربعه أثر
وللدموع على الآثار آثار

يا نار قلبي من نارٍ لحرب وغى
شبّت عليه ووافى الربع إعصار

---

(١) «مغول إيران» صفحة ١٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عـلا الـصليب عـلى أعـلى منـابـرهـا
وقـام بـالأمـر مـن يحـويـه زنـار[1]

لقد كان النصارى في أوربا يأملون في أن يعتنق المغول المسيحية وأن يتم التحالف بينهم، وأن يوجهوا ضربة قاصمة للإسلام غير أنّ هذه الآمال لم تلبث أن تبددت بسبب جهود دولة المماليك في مصر والشام وإنزال الهزيمة الساحقة بالمغول في معركة عين جالوت (في رمضان سنة ٦٥٨ هـ) فتحطمت الأسطورة القائلة إن المغول قوة لا تقهر.

* * *

يرى المؤرخ الأرمني (هيتون) أنَّ السبب في سير هذه الحملة التي وقعت فيها معركة شقحب كان رغبة قازان[2] في تحطيم سلطان المسلمين في مصر، واسترداد الأرض المقدسة وتسليمها إلى النصارى، وأنّ قازان كان يريد السير بنفسه على رأس تلك الحملة، ولكنّ تهديد حدوده الشرقية أدّى إلى أن ينيب عنه قطلوشاه الذي تعاون مع النصارى ولاسيما الأرمن الذين كانوا يشكلون قوة كبيرة في جيش قطلوشاه، وقد استولوا على عدد من مدن المسلمين

(١) «شذرات الذهب» ٥/٢٧١ ـ ٢٧٢ وهذا المذكور جزء من القصيدة. والزنار من شارات النصارى.

(٢) هو قازان بن أرغون بن أباقا خان بن هولاكو، نشأ على البوذية، ثم اعتنق الإسلام، تولى أمر الأسرة الايلخانية المغولية التي أسسها هولاكو التي حكمت فارس وآسيا الصغرى وقسماً من بلاد الشام.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقتلوا فيها ومثّلوا ونهبوا وفعلوا الأفاعيل البالغة في الفظاعة والشناعة.

* * *

كان الرعب الذي يرافق تحركات المغول شديداً يملأ صدور الناس ويوهن من قواهم، فكلما سمع الناس قصدهم إلى بلد فروا من مواجهتهم. وقد سهّل هذا الرعب لهؤلاء الغزاة المعتدين سبيل النصر والغلبة.

وكان الخليفة المستكفي بالله والسلطان الناصر مقيمين في مصر كما هو معلوم، ويبدو أنّ أخبار عزم التتار على تجديد حملاتهم لدخول بلاد الشام وإزالة دولة المماليك بلغ المسؤولين في مصر، فعمل العلماء وأولو الفكر والرأي على إشراك الخليفة والسلطان في مواجهة هؤلاء الغزاة. وقام شيخ الإسلام ابن تيمية بمهمة جسيمة في هذا المجال.

ففي شهر رجب من سنة ٧٠٢ هـ قويت الأخبار بعزم التتار على دخول بلاد الشام، فانزعج الناس لذلك، واشتدّ خوفهم جداً كما يقول الحافظ ابن كثير[1]، وقنت الخطيب في الصلوات، وقُرِىء البخاري، وهذه عادة كانوا يستعملونها في مواجهة الأعداء فيعمدون إلى قراءته في المسجد الجامع[2].

---

(١) «البداية والنهاية» ١٤/٢٢.

(٢) انظر كتابي «الحديث النبوي» ط ٤ صفحة ١٣ ـ ١٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وشرع الناس في الهرب إلى الديار المصرية والكرك[1] والحصون المنيعة، وتأخر مجيء العساكر المصرية عن إبانها فاشتدّ لذلك الخوف.

قال ابن كثير:

(وفي يوم السبت عاشر شعبان ضربت البشائر بالقلعة ـ أي قلعة دمشق ـ وعلى أبواب الأمراء بخروج السلطان بالعساكر من مصر لمناجزة التتار المخذولين... وفي ثامن عشر من شعبان قدمت طائفة كبيرة من جيش المصريين، فيهم كبار الأمراء من أمثال ركن الدين بيبرس الجاشنكير وحسام الدين لاجين وسيف الدين كراي).

ثم قدمت بعدهم طائفة أخرى فيهم بدر الدين أمير السلاح وأيبك الخزاندار.

فقويت القلوب في دمشق، واطمأنّ كثير من الخلق، ولكنَّ الناس في الشمال سيطر عليهم الذعر، واستبدّ بهم الفزع، فنزح عدد عظيم من بلاد حلب وحماة وحمص وتلك النواحي، وتقهقر الجيش الحلبي والحموي إلى حمص.. ثم خافوا أن يدهمهم التتار فنزلوا إلى المرج.

---

(١) وهي الآن مدينة عامرة من أشهر مدن شرقي الأردن وهي قاعدة لواء الكرك وتقع جنوب عمان على مسافة ١٠٠ كيلومتر شمال مؤتة. قال ياقوت: الكرك اسم لقلعة حصينة جداً في طرف الشام في نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس وهي على سن جبل عال تحيط به أودية إلا من جهة الربض. انظر معجم البلدان.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ووصل التتار إلى حمص وبعلبك وعاثوا في تلك البلاد فساداً، وقلق الناس قلقاً عظيماً لتأخر قدوم السلطان ببقية الجيش، وخافوا خوفاً شديداً، وبدأت الأراجيف تنتشر وشرع المثبطون يوهنون عزائم المقاتلين ويقولون:

لا طاقة لجيش الشام مع هؤلاء المصريين بلقاء التتار لقلة المسلمين وكثرة التتار.

وزينوا للناس التراجع والتأخر عنهم مرحلة مرحلة. ولكن تأثير العلماء ولاسيما شيخ الإسلام ابن تيمية كان يتصدى لهؤلاء المرجفين المثبطين، حتى استطاعوا أن يقنعوا الأمراء بالتصدّي للتتار مهما كان الحال.

واجتمع الأمراء وتعاهدوا وتحالفوا على لقاء العدو وشجعوا أنفسهم ورعاياهم، ونودي بالبلد دمشق أن لا يرحل منه أحد، فسكن الناس وهدأت نفوسهم وجلس القضاة بالجامع يحلّفون جماعة من الفقهاء والعامة على القتال، وتوقدت الحماسة الشعبية، وارتفعت الروح المعنوية عند العامة والجند. وكان لشيخ الإسلام ابن تيمية أعظم التأثير في ذلك الموقف، فلقد عمل على تهدئة النفوس، حتى كان الاستقرار الداخلي عند الناس والشعور بالأمن ورباطة الجأش.

ثم عمل على إلهاب عواطف الأمّة وإذكاء حماستها وتهيئتها لخوض معركة الخلاص.. ثم توجه بعد ذلك ابن تيمية إلى العسكر

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الواصل من حماة فاجتمع بهم في القطيفة[1]، فأعلمهم بما تحالف عليه الأمراء والناس من لقاء العدو، فأجابوا إلى ذلك وحلفوا معهم.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يحلف للأمراء والناس: إنكم في هذه الكرة منصورون.

فيقول له الأمراء: قل إن شاء الله.

فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً.

وكان يتأول في ذلك أشياء من كتاب الله منها قوله تعالى:

﴿ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بُغي عليه لينصرَنَّه الله﴾[2].

وقد ظهرت عند بعضهم شبهات تفتُّ في عضد المحاربين للتتار من نحو قولهم: كيف نقاتل هؤلاء التتار وهم يظهرون الإسلام وليسوا بغاة على الإمام.. فإنهم لم يكونوا في طاعته في وقت ثم خالفوه.

فردّ شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الشبهة قائلاً:

هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على عليّ ومعاوية رضي

---

(١) بلدة على طريق القادم إلى دمشق من حمص (انظر الخريطة) وهي على بعد ٤٠ كم من دمشق.

(٢) سورة الحج، الآية ٦٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الله عنهما، ورأوا أنهم أحق بالأمر منهما. وهؤلاء يزعمون أنهم أحق بإقامة الحق من المسلمين وهم متلبسون بالمعاصي والظلم.

فانجلى الموقف وزالت الشبهة وتفطن العلماء والناس لذلك ومضى يؤكد لهم هذا الموقف قائلاً:

إذا رأيتموني في ذلك الجانب ـ يريد جانب العدو ـ وعلى رأسي مصحف فاقتلوني[1]، فتشجع الناس في قتال التتار وقويت قلوبهم.

وامتلأت قلعة دمشق والبلد بالناس الوافدين، وازدحمت المنازل والطرق. وخرج الشيخ تقي الدين ابن تيمية من دمشق صبيحة يوم الخميس من باب النصر بمشقة كبيرة وصحبته جماعة كبيرة يشهد القتال بنفسه وبمن معه. فظنّ بعض الرعاع أنه خرج للفرار فقالوا: أنت منعتنا من الجفل وها أنت ذا هارب من البلد... فلم يردّ عليهم إعراضاً عنهم وتواضعاً لله ومضى في طريقه إلى ميدان المعركة.

وخرجت العساكر الشاميّة إلى ناحية قرية الكسوة.

ووصل التتار إلى قارة[2]. وقيل: إنهم وصلوا إلى القطيفة فانزعج الناس لذلك، وخافوا أن تكون العساكر قد هربوا، وانقطعت الآمال، وألحّ الناس في الدعاء والابتهال في الصلوات وفي كل حال. وذلك في يوم الخميس التاسع والعشرين من شعبان... فلما

(١) «البداية والنهاية» ١٤/٢٤.

(٢) قرية في الطريق بين دمشق وحمص. (انظر الخريطة).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كان آخر هذا اليوم وصل أحد أمراء دمشق، فبشر الناس بأن السلطان قد وصل وقت اجتماع العساكر المصرية والشامية.

وتابع التتار طريقهم من الشمال إلى الجنوب، ولم يدخلوا دمشق، بل عرجوا إلى ناحية تجمع العساكر، ولم يشغلوا أنفسهم باحتلال دمشق وقالوا: إن غَلبنا فإنّ البلد لنا وإن غُلبنا فلا حاجة لنا به.

ووقفت العساكر قريباً من قرية الكسوة، فجاء العسكر الشامي، وطلبوا من شيخ الإسلام ابن تيمية أن يسير إلى السلطان يستحثه على السير إلى دمشق، فسار إليه، فحثّه على المجيء إلى دمشق بعد أن كاد يرجع إلى مصر. فجاء هو وإياه جميعاً، فسأله السلطان أن يقف معه في معركة القتال. فقال له الشيخ ابن تيمية: السنة أن يقف الرجل تحت راية قومه، ونحن من جيش الشام لا نقف إلا معهم.

وحرّض السلطانَ على القتال، وبشره بالنصر، وجعل يحلف بالله الذي لا إله إلا هو: إنكم منصورون عليهم في هذه المرة. فيقول له الأمراء: قل إن شاء الله. فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً.

وأفتى الناس بالفطر مدة قتالهم، وأفطر هو أيضاً وكان يدور على الأجناد والأمراء، فيأكل من شيء معه في يده ليعلمهم أنّ إفطارهم ليتقووا به على القتال أفضل من صيامهم.

ولقد نظم المسلمون جيشهم في يوم السبت ٢ رمضان (١٩ نيسان - ابريل) أحسن تنظيم، في سهل شقحب الذي يشرف عليه

شبكة الألوكة - قسم الكتب

جبل غباغب.

وكان السلطان الناصر في القلب، ومعه الخليفة المستكفي بالله والقضاة والأمراء.

وقبل بدء القتال اتخذت الاحتياطات اللازمة، فمرّ السلطان ومعه الخليفة والقراء بين صفوف جيشه، بقصد تشجيعهم على القتال وبثّ روح الحماسة فيهم.

وكانوا يقرؤون آيات القرآن التي تحضُّ على الجهاد والاستشهاد وكان الخليفة يقول: دافعوا عن دينكم وعن حريمكم.

ووضعت الأحمال وراء الصفوف، وأُمر الغلمان بقتل من يحاول الهرب من المعركة.

ولما اصطفّت العساكر والتحم القتال ثبت السلطان ثباتاً عظيماً وأمر بجواده فقيّد حتى لا يهرب، وبايع الله تعالى في ذلك الموقف يريد إحدى الحسنيين إما النصر وإما الشهادة في سبيل الله، وصدق الله فصدقه الله.

وجرت خطوب عظيمة، وقُتِل جماعة من سادات الأمراء يومئذ، منهم الأمير حسام الدين لاجين الرومي، وثمانية من الأمراء المقدَّمين معه.

واحتدمت المعركة، وحمي الوطيس، واستحرّ القتل، واستطاع المغول في بادىء الأمر أن ينزلوا بالمسلمين خسارة ضخمة فقتل من قتل من الأمراء... ولكن الحال لم يلبث أن تحوّل بفضل الله عزّ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وجل، وثبت المسلمون أمام المغول، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وتغير وجه المعركة وأصبحت الغلبة للمسلمين، حتى أقبل الليل فتوقف القتال إلا قليلاً، وطلع المغول إلى أعلى جبل غباغب، وبقوا هناك طول الليل، ولما طلع النهار نزلوا يبغون الفرار بعد أن ترك لهم المسلمون ثغرة في الميسرة ليمروا منها، وقد تتبّعهم الجنود المسلمون وقتلوا منهم عدداً كبيراً، كما أنهم مرّوا بأرض موحلة، وهلك كثيرون منهم فيها، وقُبِض على بعضهم. قال ابن كثير:

(فلما جاء الليل لجأ التتار إلى اقتحام التلول والجبال والآكام، فأحاط بهم المسلمون يحرسونهم من الهرب ويرمونهم عن قوس واحدة إلى وقت الفجر، فقتلوا منهم ما لا يعلم عدده إلا الله عزّ وجل، وجعلوا يجيئون بهم من الجبال فتضرب أعناقهم)[1].

ثم لحق المسلمون أثر المنهزمين إلى «القريتين»[2] يقتلون منهم ويأسرون.

ووصل التتار إلى الفرات وهو في قوة زيادته فلم يقدروا على العبور... والذي عبر فيه هلك. فساروا على جانبه إلى بغداد، فانقطع أكثرهم على شاطىء الفرات وأخذ العرب منهم جماعة كثيرة[3].

---

(١) «البداية والنهاية» ١٤/٢٦.

(٢) وهي بلدة على طريق المسافر بين بغداد ودمشق (انظر الخريطة).

(٣) «خطط الشام» لمحمد كرد علي ٢/١٣٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي يوم الاثنين رابع رمضان رجع الناس من الكسوة إلى دمشق فبشروا الناس بالنصر، وفيه دخل شيخ الإسلام تقيّ الدين ابن تيمية البلد ومعه أصحابه من المجاهدين، ففرح الناس به، ودعوا له، وهنؤوه بما يسّر الله على يديه من الخير.

وفي يوم الثلاثاء خامس رمضان دخل السلطان إلى دمشق وبين يديه الخليفة، وزينت البلد، وبقيا في دمشق إلى ثالث شوال إذ عادا إلى الديار المصرية[1].

وكان فرح السلطان الناصر محمد بن قلاوون والمسلمين بهذه المعركة فرحاً كبيراً، ودخل مصر دخول الظافر المنتصر، يتقدم موكبه الأسرى المغول يحملون في أعناقهم رؤوس زملائهم القتلى، واستقبل استقبال الفاتحين[2].

ولما كان ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بطلاً من أبطال هذه المعركة، أحببتُ أن يطلع القارىء الكريم على وصف رجال كانوا معه في المعركة يحدثوننا عما شاهدوا مشاهدة عيان من مواقف الشيخ في هذه المعركة وبطولاته الرائعة.

● قال ابن عبد الهادي:

---

(١) «البداية والنهاية» ١٤/ ٢٦.

(٢) انظر وصف استقبال أهل مصر للسلطان عند عودته من هذه المعركة في كتاب «الناصر محمد بن قلاوون» تأليف د. محمد عبد العزيز مرزوق من صفحة ١٥٠ إلى ١٥٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(وقد أخبرني حاجب أمير، ذو دين متين، وصدق لهجة، معروف في الدولة، قال:

قال لي الشيخ يوم اللقاء ونحن بمرج الصفَّر وقد تراءى الجمعان: يا فلان! أوقفني موقف الموت.

قال: فسقته إلى مقابلة العدو وهم منحدرون كالسيل تلوح أسلحتهم من تحت الغبار المنعقد عليهم. ثم قلت له: يا سيدي هذا موقف الموت، وهذا العدو قد أقبل تحت هذه الغبرة المنعقدة، فدونك ما تريد.

قال: فرفع طرفه إلى السماء، وأشخص بصره، وحرّك شفتيه طويلاً، ثم انبعث وأقدم على القتال.

وأما أنا فخيل إليّ أنه دعا عليهم، وأنّ دعاءه استجيب منه في تلك الساعة...

ثم خال القتال بيننا والالتحام، وما عدت رأيته حتى فتح الله ونصر، وانحاز التتار إلى جبل صغير عصموا نفوسهم به من سيوف المسلمين في تلك الساعة... وكان آخر النهار وإذا أنا بالشيخ وأخيه يصيحان بأعلى صوتيهما تحريضاً على القتال، وتخويفاً للناس من الفرار..)[1].

● وقال ابن عبد الهادي:

---

(١) «العقود الدرية» لابن عبد الهادي صفحة ١٧٧ ـ ١٧٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

(وفي أول شهر رمضان من سنة اثنتين وسبعمائة كانت وقعة شقحب المشهورة، وحصل للناس شدة عظيمة، وظهر فيها من كرامات الشيخ، وإجابة دعائه، وعظيم جهاده، وقوة إيمانه، وشدّة نصحه للإسلام، وفرط شجاعته، ونهاية كرمه، وغير ذلك من صفاته، ما يفوق النعت، ويتجاوز الوصف.

ولقد قرأت بخط بعض أصحابه ـ وقد ذكر هذه الواقعة ـ قال:

ـ واتفقت كلمة إجماعهم على تعظيم الشيخ تقي الدين ومحبته، وسماع كلامه ونصيحته، واتعظوا بمواعظه. . . . ولم يبق من ملوك الشام تركي ولا عربي إلا واجتمع بالشيخ في تلك المدة، واعتقد خيره وصلاحه ونصحه لله ولرسوله وللمؤمنين.

قال:

ـ ثم ساق الله سبحانه جيش الإسلام العرمرم المصري صحبة أمير المؤمنين والسلطان الملك الناصر وولاة الأمر وزعماء الجيش وعظماء المملكة. . سوقاً حثيثاً للقاء التتار المخذولين، فاجتمع الشيخ بالخليفة والسلطان وأرباب الحلّ والعقد وأعيان الأمراء عن آخرهم، وكلهم بمرج الصفّر قبليّ دمشق. . . وبقي الشيخ هو وأخوه وأصحابه ومن معه من الغزاة قائماً. . . يوصي الناس بالثبات، ويعدهم بالنصر، ويبشرهم بالغنيمة والفوز بإحدى الحسنيين إلى أن صدق الله وعده، وأعز جنده، وهزم التتار وحده، ونصر المؤمنين، وهزم الجمع وولوا الدبر، وكانت كلمة الله هي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العليا، وكلمة الكفار هي السفلى، وقطع دابر القوم الكفار والحمد لله رب العالمين.

ودخل جيش الإسلام المنصور إلى دمشق المحروسة، والشيخ في أصحابه شاكياً سلاحه، داخلاً معهم، عاليةً كلمته، قائمةً حجته، ظاهرةً ولايته، مقبولةً شفاعته، مجابةً دعوته، ملتمسةً بركته، مكرّماً معظماً، ذا سلطان وكلمة نافذة، وهو مع ذلك يقول للمداحين: أنا رجل ملّة لا رجل دولة)[1].

وقد سجل الشعر هذه المعركة وتغنى الشعراء بنصر المسلمين فيها، وسأورد شيئاً من ذلك فقد قال محمد بن إبراهيم الجزري يصف هزيمة المغول في هذه المعركة:

مضوا متسابقي الأعضاء، فيهم
لأرؤسهم بأرجلهم عثارُ
إذا فاتوا الرماح تناولتهم
بأرماح من العطش القفارُ

وقال محمد البزاز المنبجي:

إنّ البغاة بني خاقان أقدمهم
على هلاكهم الطغيان والأشر
راموا ـ وقد حشدوا ـ غلباً فما غَلَبُوا
وحاولوا النصر تضليلاً فما نُصروا

(١) «العقود الدرية» ١٧٥ ـ ١٧٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يـا وقعـة المـرج مـرج الصفّـر افتخـرت
بـك الـوقـائـع في الآفـاق والـعصُرُ
رفعـتِ بـالـنصر أعـلام الهـدى ولـقـد
جـردتِ لـلشرك كـسـراً لـيس يـنـجـبر

وقال شرف الدين بن الوحيد:

ولمـا غـزا قـازان عـقـر ديـارنـا
وأعـطاه مـن يـعـطي ومـن يمـنـع الـنصرا
تمـرّد طـغـيـانـاً وزاد تجـبّـراً
ولم يـنـتبـه بـغـيـاً ولم يـسـتـفـق سـكـرا
وجـاءت مـلوك المغـل كـالـرمـل كـثرة
وقـد ملكت سهـل البسيـطة والـوعـرا
فـأنـصـفـت الأيـام في الحكـم بـيـنـنـا
فكـانت لـه الأولى، وكـانت لنا الأخـرى
وكـان نهار الـسبـت بـالـنصر شـاهـداً
بصـدق، وكـان الـوقت قـد زحم العصرا
فـلله درّ الـتـرك كـم سـفـكـت دمـاً
وكم قـطعت رأسـاً وكـم نحـرت نـحـرا
فـولّـت ولاذت بـالجـبـال تحـصـنـاً
ولـولا تخـاف الـقـتـل لاخـتـارت الأسرا

وقال شمس الدين السيوطي يصف معركة شقحب:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يـا مـرج صفّـر بيّـضت الـوجـوه كـما
فـعلت مـن قـبـل[1]، والإسـلام يـؤتـنـف
أزهـرُ روضـك أزهـى عـنـد نـفـحـتـه
أم يـانـعـات رؤوس فـيـك تـقـتـطف؟
غـدران أرضـك قـد أضحت لـواردهـا
ممـزوجـة بـدمـاء المـغـل تـغـترف
دارت عـليـهـم مـن الـشـجـعـان دائـرة
فـما نـجـا سـالم مـنـهـا وقـد زحـفـوا
ونـكّـسـوا مـنـهـم الأعـلام فـانهزمـوا
ونكصـوهـم عـلى الأعـلام فـانقـصفـوا
فـفـي جـمـاجـمـهـم بـيض الـظُبـا زبـرٌ
وفي كـلاكـلهـم سـمـر الـقـنـا قـصـف
فـروا من السيف مـلعـونـين حيث سروا
وقُـتّـلوا في الـبراري حـيـثـما ثـقـفـوا
فـما اسـتـقـام لهـم في (أعـوج)[2] نهج
ولا أجـارهـم مـن (مـانـع)[3] كـنـف[4]

* * *

(١) يشير إلى أن هذا الموضع كان له ذكر في فتوح الصحابة إذ كان فيه موقعة عظيمة مع الروم.
(٢) الأعوج: نهر يمرّ من قرية الكسوة. (انظر في الخريطة).
(٣) المانع: جبل في تلك الناحية (انظر في الخريطة).
(٤) انظر «خطط الشام» ٢/ ١٣٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هـذا ومن المفيد أن نعـرِّف بالخليفـة الذي غـامر بحيـاتـه وجـاء مجاهداً في سبيل الله يحضر هذه المعركة ويحرّض المؤمنين على القتال.

إنه أمير المؤمنـين المستكفي بالله أبـو الربيـع سليمان بن أحمـد بن الحسن ولد سنة ٦٨٣ هـ[1] واشتغـل بالعلم قليـلاً، وخُطب لـه سنة ٧٠١ هـ، وفوَّض جميع مـا يتعلق به من الحـلّ والعقد إلى السلطان الملك النـاصر، وحصـل بينـه وبـين النـاصر نفـور بعـد أن كـانت العلاقات بينهما على أحسن ماتكون العلاقات، فغضب عليه السلطان وسيّره إلى قوص سنة ٧٣٦ هـ! وظل يخطب له حتى توفي بقوص في شعبان سنة ٧٤٠ هـ.

قال ابن حجر: كان فاضلاً جواداً حسن الخط جداً يعرف بلعب الأكره ورمي البندق وكان يجالس العلماء والأدباء[2].

ومن المفيد أيضاً أن نعرّف بالملك النـاصر الذي كـان له الفضـل الكبير في هذه المعركة الفاصلة:

إنه محمد بن قلاوون بن عبد الله الصـالحي، أبو الفتـح من كبار ملوك دولة المماليك، ودولة المماليك مظلومة في أذهان كثير من مثقفي المسلمـين، فهم يتصـورون عهـدهم عهـد ظلم وتخلف وجهـل

(١) كـذا ذكـر ابن كثير في «البداية والنهاية» وابن حجـر في «الـدرر الكـامنة» ٢/٣٣٦ ـ ٣٣٨ ولكن السيـوطي في «تاريخ الخلفاء» ص ٧٨٤ ذكـر أنه ولـد سنة ٦٨٤ هـ.

(٢) انـظر في ترجمتـه «الـدرر الكـامنة» ٢/٣٣٧ ـ ٣٣٨ و «تـاريخ الخلفـاء» ٤٨٤ ـ ٤٨٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وانحطاط، وليس هذا بصحيح على إطلاقه...

لقد كانت هناك جوانب مضيئة إيجابية، من أهم هذه الجوانب أن هذه الدولة التي امتدّت قرابة ثلاثة قرون[1] كانت هي المدافع الأول عن الإسلام. وقد استطاعت هذه الدولة أن تطهر بلاد المسلمين من بقايا الصليبيين وأن تنهي أمر التتار إلى غير رجعة، وأن تدافع عن مذهب أهل السنة والجماعة وتمكن له، وكانت أيامها أيام نضج علمي عمّت فيه المدارس والجامعات الديار الشامية والمصرية.

وحبّذا لو عولجت هذه الحقبة من وجهة نظر إسلامية معالجة متأنية منصفة[2].

ولد الملك الناصر سنة ٦٨٤ هـ وكانت إقامته في طفولته بدمشق. ولي سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣ هـ وكان عمره إذ ذاك تسع سنين، ثم خلع منها لحداثته سنة ٦٩٤ هـ فأرسل إلى الكرك وهي مدينة[3] مشهورة الآن في الأردن وكانت حصناً من أمنع الحصون. وكانت مركزاً مهماً من أقوى مراكز الدولة في بلاد الشام.

وأُعيد للسلطنة بمصر سنة ٦٩٨ هـ وكان قد بلغ الرابعة عشرة من عمره ولم تكن لديه الخبرة ولا الدراية التي تمكنه من أن يسوس

(١) أي من ٦٥٨ حتى ٩٢٣ هـ.

(٢) على غرار ما فعل عدد من الباحثين المعاصرين في الآونة الأخيرة من إنصاف الدولة العثمانية المظلومة. جزاهم الله خيراً.

(٣) عرّفت بالكرك وذكرت موقعها آنفاً.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأمور بنفسه مستقلاً، فكانت أمور الدولة في يد الاستادار الأمير بيبرس الجاشنكير ونائب السلطنة الأمير سلّار.

ولما أراد أن يتخلص من سيطرتهما رسم خطة وأحكم تنفيذها فقد تظاهر بأنه عازم على الحج، وأعلن ذلك في الدولة، وتوجه بأسرته وحاشيته ومماليكه وخيله.. وسار حتى بلغ الكرك، فنزل بقلعتها واستولى على مافيها، وأعلن أنه قد عدل عن الحج واختار الإقامة في الكرك، وباشر حكمها وإدارة الأمور فيها، وترك السلطنة، وكتب بذلك إلى الأمراء في مصر.

فاجتمع هؤلاء ونادوا بالأمير بيبرس الجاشنكير سلطاناً على مصر والشام سنة ٧٠٨ هـ ولقبوه بالملك المظفر.

وأمضى الناصر في الكرك قريباً من عام، ثم وثب فدخل دمشق وزحف إلى مصر، فقاتل المظفر بيبرس وعاد إلى عرشه سنة٧٠٩ هـ وقتل بيبرس وشرّد أنصاره، واستمرّ في سلطنته الأخيرة هذه اثنتين وثلاثين سنة وخمسةً وعشرين يوماً إلى أن مات، كان فيها الحاكم الحقيقي، وكانت له فيها سيرة محمودة، واعتنى بالعمران حتى أضحت القاهرة زينة الدنيا واقتدى الناس به فتباروا في العمران. يقول المقريزي: (وكأنما نودي في الناس ألا يبقى أحد حتى يعمر وذلك أن الناس على دين ملوكهم). وقال الزركلي: (وأحدث من العمران ما ملأ ذكره صفحتين من كتاب المقريزي).

وكان كريماً غاية في الكرم، وكان عفَّ اللسان فلم يضبطوا عليه أحد أنه أطلق لسانه بكلام فاحش في شدة غضبه ولا انبساطه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكانت عنده غيرة على الدين ورعاية لأحكامه.

قال ابن حجر[1] في «الدرر»: كانت وقعة شقحب وكان للناصر فيها اليد البيضاء من الثبات. وَوَقَعَ النصرُ للمسلمين.

وقال[1]: كان مطاعاً مهيباً عارفاً بالأمور يعظّم أهل العلم والمناصب الشرعية، ولا يقرر فيها إلا من يكون أهلاً لها ويتحرّى لذلك ويبحث عنه ويبالغ. وأسقط من مملكته مكس الأقوات، ومكس الأقوات هو الضريبة التي تفرض على الأقوات.

توفي بالقاهرة في ذي الحجة من سنة ٧٤١ هـ. رحمه الله رحمة واسعة.

* * *

وهكذا انتهت هذه المعركة بهزيمة التتار وانتصار المسلمين. وجدير بالذكر أن نشير إلى أنَّ هذه الحملة الثالثة من حملات التتار كانت هي آخر الحملات الكبرى التي قام بها هؤلاء المتوحشون، ينقضون على بلاد الإسلام الآمنة المطمئنة.

ولقد كان هناك حلف واضح بين التتار والنصارى كشفنا عن بعض جوانبه في الصفحات السابقة. وقد يكون من مقاصد هؤلاء التتار الاستيلاء على الأماكن التي يقدسها النصارى، ثم إعطاؤهم حق الإشراف عليها.

---

(١) «الدرر الكامنة» ٤/٢٦١ ـ ٢٦٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولكن المسلمين ردُّوهم على أعقابهم خاسرين، فما حققوا لهم ما يريدون ثم إنّ المغول دخلوا في دين الله العظيم، وكانت هذه معجزة للإسلام فقد عهد التاريخ البشري أن المغلوب يدخل في دين الغالب، ولكن الإسلام العظيم غلب. وأصبح هؤلاء القوم بعد إسلامهم مدداً لقوة الإسلام وتياره المستمرّ.

* * *

وبعد فما أشبه الليلة بالبارحة.

إن من يتأمل ـ على ضوء أحداث الماضي ـ أحوال المسلمين اليوم وكيف تتعرض بلادهم إلى الاحتلال والتقسيم ليجد عبرة عظمى وموعظة بليغة.

﴿إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾.

محمّد بن لطفي الصبّاغ

ملاحظة: لا يفوتني أن أشكر الأستاذ محمود شاكر على رسمه للخريطة التي تبين معالم أرض المعركة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

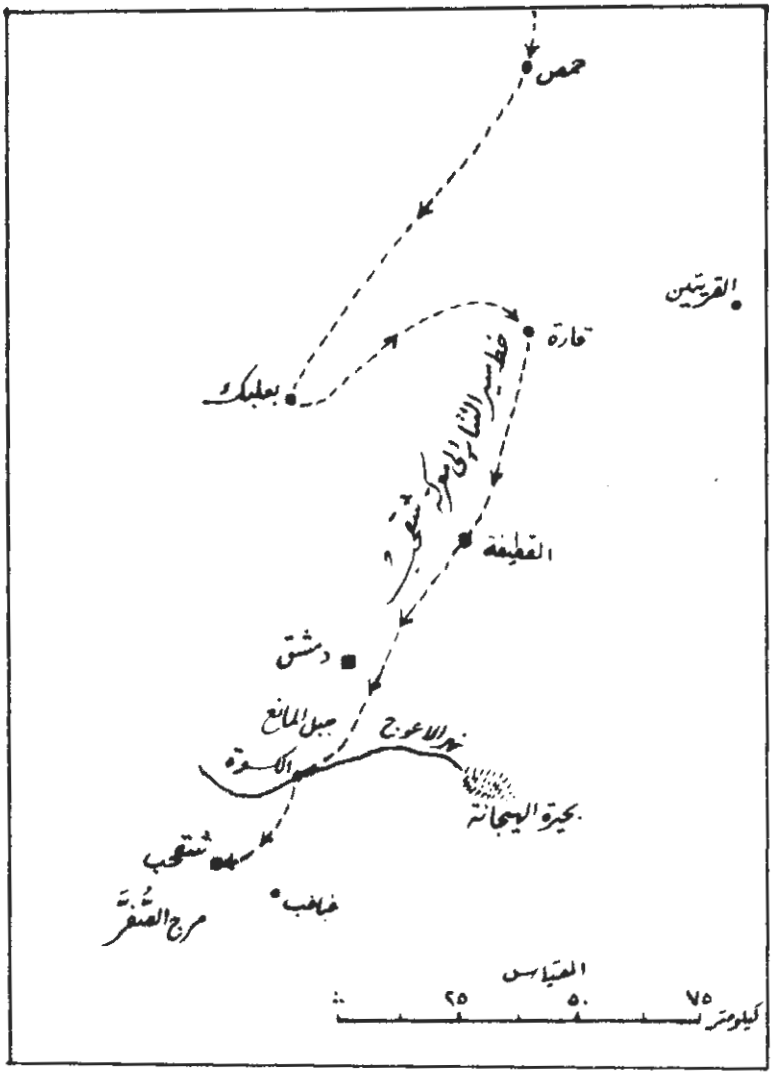

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثبت المراجع

- البداية والنهاية.
- شذرات الذهب.
- النجوم الزاهرة.
- عجائب المقدور في نوائب تيمور.
- العقود الدرية.
- الدرر الكامنة.
- تاريخ الخلفاء.
- معجم البلدان.
- الكامل لابن الأثير.
- التاريخ الإسلامي لشلبي ج ٥.
- المغول السيد الباز العريني.
- تاريخ الإسلام السياسي ج ٤ لابن عربشاه.
- خطط الشام لكرد علي.
- مقدمة أحاديث القصاص.
- ترجمة ابن تيمية لكرد علي.
- المجتمع الإسلامي لشلبي.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- الكشوف الجغرافية يسرى الجوهري.
- مغول إيران بين المسيحية والإسلام لمصطفى طه بدر.
- الحديث النبوي محمد الصباغ.
- الناصر محمد بن قلاوون محمد عبد العزيز مرزوق.
- الأعلام للزركلي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صدر للمؤلف

من منشورات المكتب الإسلامي

١ ـ الابتعاث ومخاطره.
٢ ـ أبو داود حياته وسننه.
٣ ـ أبو نعيم وكتابه الحلية.
٤ ـ أسماء بنت أبي بكر.
٥ ـ أقوال مأثورة وكلمات جميلة.
٦ ـ أُم سُليم.
٧ ـ بحوث في أصول التفسير.
٨ ـ تاريخ القصاص وأثرهم في الحديث النبوي.
٩ ـ تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية.
١٠ ـ التشريع الاسلامي وحاجتنا إليه.
١١ ـ التصوير الفني في الحديث النبوي.
١٢ ـ الحديث النبوي: بلاغته، مصطلحه، كتبه.
١٣ ـ سعيد بن العاص بطل الفتوح وكاتب المصحف.
١٤ ـ فن الوصف في مدرسة عبيد الشعر.
١٥ ـ لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير.
١٦ ـ المناهج والأطر التأليفية في تراثنا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٧ ـ من أسباب تأخر العمل الاسلامي.
١٨ ـ معركة شقحب أو مرج الصُّفر.
١٩ ـ من صفات الداعية.
٢٠ ـ نظرات في الأسرة المسلمة.
٢١ ـ وصايا للزوجين.
٢٢ ـ يوم الفرقان يوم بدر.

* * *

٢٣ ـ أحاديث القصاص لابن تيمية (تحقيق).
٢٤ ـ الأسرار المرفوعة لملا علي القاري (تحقيق).
٢٥ ـ الباعث على الخلاص مِّن أحاديث القصاص للحافظ العراقي (تحقيق).
٢٦ ـ تحذير الخواص من أكاذيب القصاص للسيوطي (تحقيق).
٢٧ ـ الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي (تحقيق).
٢٨ ـ رسالة أبي داود إلى أهل مكة (تحقيق).
٢٩ ـ الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة للكرمي (تحقيق).
٣٠ ـ القرامطة لابن الجوزي (تحقيق).
٣١ ـ القصاص والمذكرون لابن الجوزي (تحقيق).
٣٢ ـ كتاب الضعفاء والمتروكين للدارقطني (تحقيق).
٣٣ ـ مختصر المقاصد الحسنة للزرقاني (تحقيق).

شبكة الألوكة - قسم الكتب